

المصدر: عمان

التاريخ: ٣ مارس ٢٠٠٣

أسباب معارضة شرودر خطط بوش في العراق

عبد العظيم حماد

كان هذا السبب الانتخابي هو الشائع في تفسير دوافع حكومة شرودر - فيشر حتى اضطر المستشار الى شرح دوافعه بنفسه في الاجتماعات المغلقة لاجتماع حزبه.. فماذا قال شرودر في هذه الاجتماعات المغلقة؟

قبيل جلسة البوندستاغ التي ألقى فيها المستشار ثم وزير خارجيته فيشر فيشر بياناً شاملاً حول الازمة العراقية والعلاقات مع الولايات المتحدة، وحلف الاطلسنطي دعا المستشار الألماني أعضاء الكتلة البرلمانية لحزبه الاشتراكي الديمقراطي الى اجتماع مغلق، بهدف ضمان ولاء النواب لموقفه، لأنه في الاصل يحكم بأغلبية ضئيلة لا تزيد عن ٦ مقاعد، ويعني انشقاق نائب واحد ضربة موجعة للحكومة. وقد يؤدي انشقاق هذا النائب الواحد الى مزيد من الانشقاقات، وهو ما دعت اليه أنجيلا ميركيل زعيمة المعارضة المسيحية الديمقراطية علناً. اذن فقد كان الرجل مضطراً للإفصاح عن أسباب هذا الموقف الصارم ضد السياسة الأمريكية. بعبارة أكثر صراحة مما ورد في بيانه اللاحق أمام البوندستاغ، قال شرودر ملخصاً هذه الدوافع «ان الطريقة التي سوف تسوى بها الازمة العراقية سوف تقرر مصير العالم كله لفترة تمتد من ١٥ الى ٢٠ عاماً. وأضاف موضحاً اذا غزت الولايات المتحدة العراق بموافقة الجميع فسوف يعني ذلك الاقرار بعالم خاضع لقطب واحد لعقدين من الزمان».

ومع أنه لم يتسرب من أقوال شرودر سوى هذه العبارة المركزة، فإن ما رشح منها على أقدام المحللين السياسيين والباحثين الاستراتيجيين يفيد بأن المستشار الألماني مثل الرئيس الفرنسي شيراك معنيان أكثر من غيرهما من الزعماء الأوروبيين بمستقبل الاتحاد الأوروبي كقوة عظمى، ولو في طور الهدف الاستراتيجي لا الواقع العملي بعد.

ويعود السبب في اهتمام ألمانيا وفرنسا أكثر من غيرهما من الدول الأوروبية بهذا الهدف الى حقيقة مسلم بها، وهي أنهما معا يشكلان «موتور» أوروبا كما ترى الدولتان نفسيهما، وكما يسلم لهما بقية الشركاء الأوروبيين بذلك.

من هنا فإن مساهمة الولايات المتحدة في تغييرها لاهداف التحالف الدولي ضد الارهاب، وفي فرض ارادتها على الامم المتحدة يعني تسليم الاتحاد الأوروبي مقدماً بالتبعية لسياسة أمريكية تأكدت رغبتها في الهيمنة الامبراطورية.

وحسب رؤية أحد أعضاء الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني في حديث خاص معه، فإن معارضة ألمانيا وفرنسا قد لا تمنعان الغزو الأمريكي للعراق، ولكنها تحقق بعض الاهداف التي سوف تظهر جدواها في المستقبل القريب، من هذه الاهداف تعرية الدوافع الامبراطورية الأمريكية من غطاء الشرعية الدولية، وتشجيع القوى السياسية المعارضة لهذه النزعة ليس فقط داخل أوروبا، لكن أيضاً داخل الولايات المتحدة نفسها وفي بقية أنحاء العالم، وسوف يؤدي ذلك بهذه الادارة الأمريكية أن تفكر عشرات المرات قبل أن تقدم على الخطوة التالية للعراق في جدول الاعمال الامبراطوري، سواء كان الهدف التالي هو ايران أو كوريا

على الرغم من أن أحزاب

المعارضة الألمانية لا تزال

مستمرة في انتقاداتها اللاذعة

لموقف المستشار جيرهارد شرودر

وحكومته الرفض بقوة لخطط

الحرب الأمريكية في العراق،

والذي تسبب في أقوى شرخ في

العلاقات بين جانبي الاطلسنطي

حتى الآن، فإن المنتقدين أنفسهم

لم يعودوا يفسرون موقف شرودر

بأنه تابع في الاساس من أسباب

انتخابية.

الشمالية أو غيرهما.. فالعالم حينئذ سيكون قد انتبه الى الخطر، وسيتعين على الادارة الامريكية أن تختار ما بين العمل كإمبراطورية استعمارية سافرة، وما بين الخضوع للشرعية الدولية ممثلة في الأمم المتحدة. ولن يكون من السهل حسم هذا الاختيار حتى في مواجهة الرأي العام الامريكي والقوي الليبرالية فيه على وجه الخصوص.

المصالح الاقتصادية

بالطبع لا تنفصل المصالح الاستراتيجية - على نحو ما سبق شرحه - عن المصالح الاقتصادية، فالأخيرة هي إحدى المكونات الرئيسية للأولى، ولألمانيا مصالح اقتصادية ضخمة في منطقة الشرق الأوسط يجب الخشية عليها من جراء عدم الاستقرار، واستنزاف الموارد التي يسببها الغزو الامريكي للعراق، كما أن فرض السيطرة العسكرية الامريكية المطلقة في المنطقة بعد احتلال العراق سيجعل واشنطن هي بوابة الدخول الى المنطقة (أو الخروج منها) اقتصاديا للدول الأخرى.

ويرصد تقرير رسمي لإدارة الدول العربية وإيران في وزارة الاقتصاد الألمانية تلك المصالح على النحو التالي: «أن حركة التبادل التجاري مع دول المنطقة حافلة بمؤشرات ايجابية للغاية للتوسع الاقتصادي الألماني، فقد ارتفعت الصادرات الألمانية الى الدول العربية وإيران بنسبة أعلى من ارتفاعها في أي مكان آخر في العالم، وهي مستمرة في هذا الارتفاع، ففي عام ٢٠٠١ كانت الزيادة في حجم الصادرات الألمانية للشرق الأوسط ٩,١٧٪ لتصل الى ١٤ مليار يورو، ثم تراجعت هذه الزيادة في النصف الأول من عام ٢٠٠٢ لتبلغ ٢,١٠٪ بالمقارنة بالفترة نفسها من عام ٢٠٠١ الذي شهد أصلا ارتفاعا كبيرا في نسبة ما استوردته دول المنطقة من ألمانيا.

ومع أن هذه الأرقام كبيرة فإنها لا تمثل سوى نسبة ضئيلة من الأهداف الاقتصادية الألمانية في الشرق الأوسط، فهي في النهاية لا تمثل سوى ٢٪ فقط من حجم الصادرات الألمانية الإجمالي، يضاف الى ذلك وفقا لتقرير إدارة الدول العربية وإيران في وزارة الاقتصاد في برلين أن المنطقة لا تستقبل سوى ١٪ فقط من الاستثمارات الألمانية في الخارج، على الرغم مما يسجله التقرير من أن «خبرة وقدرة الشركات الألمانية تتكامل مع احتياجات المنطقة بشكل مثالي بما أن جميع الدول العربية تركز استثماراتها في قطاعات الطاقة الحديثة، وشبكات المياه، والطرق، والسكك الحديدية»، وهي كلها ميادين تستطيع الشركات الألمانية المنافسة فيها بقوة.

وإذا كانت السيطرة على منابع النفط العراقية واحتياطاته هي أحد الأهداف الإمبراطورية الامريكية فإن لعاب الألمان يسيل للدخول في صناعة استخراج

النفط في المنطقة، وهو ما يقطع الغزو الأمريكي للعراق الطريق عليه، ويرصد تقرير وزارة الاقتصاد الألمانية الفرص التي يمكن أن تضيع بحسرة فيقول «إن دول شمال إفريقيا والخليج أعلنت عن مناقصات لكثير من المشروعات الاستثمارية في قطاعات النفط والغاز والبتروكيماويات»، ثم يسجل التقرير أن هذه المناقصات تطرح لأول مرة بنظام منح الشركات الأجنبية نسبة ١٠٪ من حقوق استخراج النفط والغاز، خصوصاً في السعودية والجزائر.

وكانت الحكومة الألمانية قد مهدت لدخول شركاتها واستثماراتها بقوة في المنطقة العربية بتوقيع اتفاقيات (يصفها التقرير بأنها على جانب كبير من الأهمية) لتشجيع وحماية الاستثمارات، فوقعت اتفاقيات لمنع الازدواج الضريبي مع كل من مصر والكويت والامارات والمغرب وتونس، كما وقعت اتفاقيات لتنظيم المعاملة الضريبية للصادرات مع كل من الجزائر واليمن والسعودية والسلطنة، وهي على وشك توقيع اتفاق لمنع الازدواج الضريبي مع السعودية والسلطنة.

اذن فإن ألمانيا التي تعاني من أزمة اقتصادية حقيقية كانت تراهن على المنطقة العربية للمساهمة في حل هذه الازمة عن طريق زيادة الصادرات اليها من ناحية، أو جني أرباح من استثماراتها المخططة فيها من الناحية الأخرى، ولكن ها هي ادارة بوش الأمريكية تنقض على المنطقة، لا لتسيطر عليها فحسب، ولكن أيضاً لتؤجل كل خطط دول المنطقة للنمو والتوسع الاقتصادي. بالطبع كان هذا التقرير هو أحد وثائق شرودر لاقتناع أعضاء حزبه في اجتماعه المغلق بهم بأن معارضته للسياسة الأمريكية لم تكن مجرد مناورة انتخابية فحسب.

سؤال فيشر

لكن هل يعلم الرأي العام الألماني الذي تؤيد أغلبيته الكاسحة شرودر في هذا الموقف هذه التفاصيل؟ الإجابة هي أنه يستشعرها، خاصة فيما يتعلق بمستقبل العلاقة بين الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، غير أن موقف الرأي العام - الذي لا بد أن يكون أحد أسباب شرودر القوية في معارضة بوش - يستند في الأساس الى اعتبارات ايديولوجية ونفسية، فالألمان يكرهون مجرد ذكر كلمة الحرب لأسباب لا يجهلها أحد، ولذا لم تستطع أنجيلا ميركيل أن تجيب صراحة بإعلان تأييدها للحرب عندما سألها شرودر في المواجهة بينهما أمام البوندستاغ أن تجيب بنعم أم لا على سؤاله: «هل كنت ستذهبين الى الحرب في العراق لو أنك كنت رئيسة لحكومة ألمانيا؟» كان فيشر وزير الخارجية قد وجه سؤالاً مماثلاً في مؤتمر ميونيخ لسياسات الأمن الدولي الى زعماء المعارضة الألمانية: اذا كنتم تتهموننا بأننا فرنا بالانتخابات بسبب معارضتنا للحرب، فلماذا لم تفوزوا أنتم بسبب تأييدكم لها؟ أو على حد قوله انه يقبل أن يكون هذا هو السبب الداخلي لمعارضة الحرب لأنه سبب ديمقراطي.